شرح العلامة الزرقاني

المتوفى سنة ١١٢٢ هـ

على

المواهب اللدنية بالمنح المحمدية

للعلامة القسطلاني

المتوفى سنة ٩٢٣ هـ

ضبطه وصححه

محمد عبد العزيز الخالدي

الجزء الأول

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد : ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH
Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

الفهرس

ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم؟ كان محمد ﷺ أول من قال بلى، ولذلك صار محمد ﷺ يتقدم الأنبياء، وهو آخر من بعث.

فإن قلت: إن النبوة وصف ولا بد أن يكون الموصوف به موجودًا، وإنما يكون بعد بلوغ أربعين سنة ....

ظهورهم) بدل اشتمال مما قبله بإعادة الجار **(ذرّياتهم)** بأن أخرج بعضهم من صلب بعض من صلب آدم نسلاً بعد نسل؛ كنحو ما يتوالدون كالذر بنعمان بفتح النون يوم عرفة، ونصب لهم دلائل على ربوبيّته، وركب فيهم عقلاً، والأخبار والآثار شاهدة بهذا فتعسّف من جعل الآية للتمثيل: ﴿**وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم**﴾ [الأعراف: ١٧٢]، قالوا بلى **(كان محمّد ﷺ أول من قال: بلى،)** أنت ربّنا **(ولذلك صار محمّد ﷺ يتقدم الأنبياء وهو آخر من بعث.)**

وأورد على قوله وآدم بين الروح والجسد، قوله: **(فإن قلت إنّ النبوّة وصف)** أي: معنى يقوم بالمحل وهو كونه موحى إليه بأمر يعمل به، فالمراد بالوصف الأثر، وهو في الأصل مصدر، **(ولا بدّ أن يكون الموصوف به موجودًا وإنما يكون)** الوصف بالنبوّة **(بعد بلوغ)** الموصوف بها **(أربعين سنة،)** إذ هو سنّ الكمال ولها تبعث الرسل، ومفاد هذا الحصر الشامل لجميع الأنبياء حتى يحيىٰ وعيسى هو الصحيح. ففي زاد المعاد ما يذكر أن عيسى رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة لا يعرف به أثر متّصل يجب المصير إليه. قال الشامي: وهو كما قال فإنّ ذلك إنّما يروى عن النصارى، والمصرّح به في الأحاديث النبويّة أنه إنّما رفع وهو ابن مائة وعشرين سنة.

أخرج الطبراني في الكبير بسند رجاله ثقات، عن عائشة أنه ﷺ، قال في مرضه الذي توفي فيه لفاطمة: «إن جبريل كان يعارضني القرءان في كل عام مرة، وأنه عارضني بالقرءان العام مرّتين وأخبرني أنه لم يكن نبيّ إلا عاش نصف الذي قبله، وأخبرني أن عيسى بن مريم عاش عشرين ومائة سنة، ولا أراني إلا ذاهبًا على رأس الستّين»، انتهى ملخّصًا.

وروى أبو يعلى عن فاطمة مرفوعًا، أنّ عيسى ابن مريم مكث في بني إسرائيل أربعين سنة، فهذا مما يؤيّد ذاك ولا يرد عليه قوله تعالىٰ في حقّ عيسى: ﴿وجعلني نبيًّا﴾ [مريم: ٣٠]، لأن معناه جعلني مباركًا، نفّاعًا للخير، والتعبير بلفظ الماضي باعتبار ما سبق في قضائه، أو لجعل المحقّق وقوعه كالواقع. ولا قوله في يحيىٰ: ﴿وآتيناه الحكم صبيًّا﴾ [مريم: ١٢]، لأن معناه الحكمة وفهم التوراة، ومن فسّره بالنبوّة فهو مجاز لأنه لظهور آثارها كأنه أوتيها، ولا ما في تهذيب النووي وعرائس الثعلبي أن صالحًا بعثه الله إلى قومه وهو شابّ، وأقام فيهم عشرين سنة، وتوفي بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة، لجواز أنه على التقريب بإسقاط عامي الولادة والموت، فلا ينافي أنه أرسل على رأس الأربعين، وكونه في ذلك السن، لا ينافي إطلاق الشابّ عليه، كما

مهمة أيضًا، فكيف يوصف به قبل وجوده وإرساله؟

أطلق أنس لفظ الشاب على المصطفى في حديث الهجرة، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة. وقد روى ابن مردويه والضياء في المختارة، عن ابن عباس رفعه: «ما بعث الله نبيًا إلاّ شابًا».

مهمّة

وقع للحافظ الجلال السيوطي في تكملة تفسير المحلّي، وشرح النقاية وغيرهما من كتبه الجزم، بأن عيسى رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين، ويمكث بعد نزوله سبع سنين، وما زلت أتعجّب منه مع مزيد حفظه وإتقانه وجمعه للمعقول والمنقول، حتى رأيته في مرقاة الصعود رجع عن ذلك.

فقال في شرح حديث: فيمكث في الأرض أربعين سنة، قال ابن كثير يشكل عليه ما في مسلم أنه يمكث سبع سنين إلاّ أن يحمل على إقامته بعد نزوله، ويكون ذلك مضافًا إلى مكثه قبل رفعه إلى السماء، وكان عمره حينئذ ثلاثًا وثلاثين سنة على المشهور. قلت: وقد أقمت سنين أجمع بذلك، ثم رأيت البيهقي قال في كتاب البعث والنشور، هكذا في هذا الحديث: أن عيسى يمكث في الأرض أربعين سنة.

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو في قصة الدجال: فيبعث الله عيسى ابن مريم فيطلبه فيهلكه، ثم يلبث الناس بعده سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، قال البيهقي: ويحتمل أن قوله: ثم يلبث الناس بعده، أي: بعد موته، فلا يكون مخالفًا للأول، انتهى. فترجّح عندي هذا التأويل لوجوه أحدها. إن حديث مسلم ليس نصًا في الإخبار عن مدة لبث عيسى وذلك نصّ فيها، والثاني: أن ثم تؤيّد هذا التأويل لأنها للتراخي، والثالث: قوله يلبث الناس بعده فيتّجه أن الضمير فيه لعيسى؛ لأنه أقرب مذكور، والرابع: أنه لم يرد في ذلك سوى هذا الحديث المحتمل، ولا ثاني له. وورد مكث عيسى أربعين سنة في عدّة أحاديث من طرق مختلفة منها هذا الحديث الذي أخرجه أبو داود وهو صحيح.

ومنها ما أخرجه الطبراني عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ، قال: «ينزل عيسى ابن مريم، فيمكث في الناس أربعين سنة»، ومنها ما أخرجه أحمد في الزهد عن أبي هريرة، قال: «يلبث عيسى ابن مريم في الأرض أربعين سنة لو يقول للبطحاء سيلي عسلاً لسالت»، ومنها ما أخرجه أحمد في مسنده عن عائشة مرفوعًا في حديث الدجال: «فينزل عيسى ابن مريم فيقتله، ثم يمكث عيسى في الأرض أربعين سنة إمامًا عادلاً وحكمًا مقسطًا». ورد أيضًا من حديث ابن مسعود عند الطبراني، فهذه الأحاديث الصريحة أولى من ذلك الحديث الواحد المحتمل، انتهى.

(أيضًا)، أي: كما أنه لا بدّ للنبوّة من محل تقوم به والمتعاطفات هنا اتفقا في الاشتراط فصحّ لفظ أيضًا، **(فكيف يوصف به)**، أي: يوصف النبوّة **(قبل وجوده)** ﷺ في الخارج **(وإرساله)**؟ في